وقفة

عبدالنبي الشعلة abdulnabi.alshoala@albiladpress.com

البحرين بين التحديات والآمال.. قراءة واقعية ومسؤولة في اقتصاد المستقبل (2)

تلقيتُ عددًا غير قليل من الملاحظات والتفاعلات الإيجابية على مقالي المنشور الأسبوع الماضي تحت العنوان نفسه "البحرين بين التحديات والآمال.. قراءة واقعية ومسؤولة في اقتصاد المستقبل"، وهو تفاعل أقدّره وأعتز به؛ لأنه يعكس حجم القلق المشروع الذي يساور شريحة واسعة من المواطنين إزاء الوضع الاقتصادي الراهن، كما يعكس في الوقت ذاته تعطّشًا لنقاش جاد ومتزن، بعيدًا عن التهوين أو التهويل.

في ذلك المقال حاولتُ تأكيد أهمية التمسك بروح التفاؤل والإيجابية في مواجهة التحديات الاقتصادية التي نمر بها، دون التقليل من خطورتها أو إنكار أبعادها. ودعوتُ إلى الاستفادة من تجارب دول واجهت أزمات اقتصادية عميقة، لكنها تمكنت من تجاوزها بإرادة سياسية، ورؤية واضحة، وثقة متبادلة بين الدولة والمجتمع.

ورغم أنني لم أبرئ أحدًا من المسؤولية، فقد رأى بعض القراء والمتابعين أنني بالغت في التفاؤل على حساب الواقعية، وأنني لم أحدد المسؤوليات، أو أطرح حلولًا عملية، أو أتطرق بوضوح إلى قضايا جوهرية، مثل العجز المالي، وارتفاع كلفة خدمة الدين العام، وتراجع التصنيف الائتماني، وضرورة المحاسبة، بل ذهب بعضهم إلى الدعوة إلى ما أصفه بـ "الحلول السحرية"، كالتخلص الفوري من فوائد القروض، أو تصفية الدين العام بالكامل، مع الاستمرار في الوقت ذاته في رفع الأجور، وتوسيع الدعوم، وتوفير فرص العمل، دون الإخلال بمتطلبات التنمية.

وأقولها بوضوح: التفاؤل تهمة لا أتبرأ منها، ولن أعتبرها يومًا نقيصة؛ فالتفاؤل، حين يستند إلى قراءة للتاريخ، وإلى تجارب واقعية، يصبح عنصر قوة لا ضعف. وهو ليس نقيضًا للمحاسبة أو الإصلاح، بل شرط نفسي وأخلاقي لإنجاح أي مشروع إصلاحي.

نحن في البحرين مررنا بتجارب لا تقل قسوة عن التي نمر بها اليوم؛ ففي مطلع ثلاثينيات القرن الماضي انهار اقتصاد اللؤلؤ، الذي كان العمود الفقري للاقتصاد البحريني، نتيجة ظهور اللؤلؤ الصناعي الياباني وتزامن ذلك مع الكساد العالمي. ضُربت مصادر الرزق، وتبدلت الأحوال، لكن الآباء والأجداد لم يستسلموا لليأس، بل صمدوا وتسلحوا بالإيمان والثقة، فجاء اكتشاف النفط بالعام 1932 وكأنه تجسيد لمعنى الحديث الشريف "تفائلوا بالخير تجدوه".

كما لا يمكن أن ننسى ما شهدته منطقتنا في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات: الثورة الإيرانية، حادثة جهيمان في الحرم المكي، الغزو السوفييتي لأفغانستان، الحرب العراقية الإيرانية وما رافقها من "حرب الناقلات"، ثم الغزو العراقي للكويت وتداعياته الخطيرة. كانت تلك مرحلة مضطربة أمنيًا وسياسيًا واقتصاديًا، ومع ذلك استطاعت البحرين ودول الخليج امتصاص الصدمات، وإن كان ذلك بثمن اقتصادي كبير.

صحيح أن أسعار النفط ارتفعت خلال ما سُمي بـ "الطفرة النفطية الثانية" (1979 - 1982)، إلا أن معظم العوائد استُنزفت في تعزيز القدرات الأمنية والدفاعية، وفي مواجهة ارتفاع كلفة الاستيراد والتأمين البحري؛ ما حال دون تحقيق قفزات تنموية كبرى. ثم عاد النفط ليتراجع في منتصف الثمانينيات، وبدأنا نسمع مفردات "شد الحزام" و "ترشيد الإنفاق" ودخل الاقتصاد مرحلة ركود أثرت في القطاعين العام والخاص.

وهنا أتحدث من موقع الشاهد؛ فقد كنت حينها عضوًا في مجلس إدارة غرفة تجارة وصناعة البحرين، وشاركتُ في لجنة شكلتها الغرفة في أكتوبر 1985 لدراسة تباطؤ النمو الاقتصادي. عملت اللجنة، التي ضمت نخبة من رجالات الأعمال والاقتصاد، على إعداد دراسة شاملة رُفعت إلى رئيس الوزراء وقتها المغفور له صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، ووصفتها الحكومة يومها بأنها "مرجعية" وسعت إلى تطبيق توصياتها، في نموذج يُحتذى به في الشراكة وتحمل المسؤولية.

وتكرر المشهد في منتصف التسعينيات، عندما شُرفت بتولي وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وكان سعر النفط قد هبط إلى ما دون عشرة دولارات. قادت الحكومة آنذاك سياسة ترشيد صارمة، بدأت من الأعلى، وتحملتْ أعباءها، وتمكنا - مرة أخرى - من عبور المرحلة.

الخلاصة التي أود تأكيدها اليوم هي أن الأزمات الاقتصادية، مهما بلغت حدتها، ليست قدرًا أبديًا، بل محطات اختبار للإرادة والرؤية. نعم، نحن بحاجة إلى إصلاحات جادة، وإدارة مالية حازمة، ومصارحة مسؤولة، ومحاسبة عادلة، لكننا في الوقت ذاته بحاجة ماسة إلى الحفاظ على الثقة، وعدم الاستسلام لخطاب الإحباط والتشاؤم؛ فالبحرين، بتاريخها، وإنسانها، وانتمائها الخليجي، تملك من المقومات ما يؤهلها لتجاوز هذه المرحلة، شريطة أن نتكاتف، ونفكر بعقل راجح، وقلب مؤمن بأن الغد يمكن أن يكون أفضل مما نخشاه اليوم.

مشيدا بعمق العلاقات التاريخية بين البلدين... وزير الخارجية:

الارتقاء بالتعاون الثنائي مع الكويت نحو آفاق أشمل

المنامة - وزارة الخارجية

التقى وزير الخارجية د. عبداللطيف الزياني، في مدينة ميونيخ أمس، وزير الخارجية في دولة الكويت الشقيقة الشيخ جراح جابر الأحمد الصباح، على هامش مؤتمر ميونيخ للأمن.

وقد هنأ وزير الخارجية، الشيخ جراح الأحمد الجابر الصباح؛ بمناسبة تعيينه وزيرا للخارجية في دولة الكويت، متمنيا له التوفيق والنجاح في مهامه الدبلوماسية، ومشيدا بعمق العلاقات الأخوية التاريخية التي تربط بين البلدين والشعبين الشقيقين، وما تشهده من تطور ونماء على جميع المستويات.

وتم في اللقاء بحث مسار التعاون الثنائي بين البلدين الشقيقين، وسبل الارتقاء به إلى آفاق أشمل في ظل التوجيهات السامية من ملك البلاد المعظم صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، وأمير دولة الكويت صاحب السمو الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح. وحضر اللقاء، سفير مملكة البحرين لدى جمهورية ألمانيا الاتحادية أحمد القرينيس، والوفد المرافق للوزير.

تبادل وجهات النظر بشأن المستجدات الراهنة... وزير الخارجية:

استعراض سبل تطوير التعاون مع بريطانيا

المنامة - وزارة الخارجية

التقى وزير الخارجية د. عبداللطيف الزياني، في ميونيخ أمس، وزيرة الخارجية في حكومة الظل البريطانية بريتي باتيل، وذلك على هامش مؤتمر ميونيخ للأمن.

وتم في اللقاء، بحث علاقات الصداقة التاريخية المتميزة التي تربط بين مملكة البحرين والمملكة المتحدة الصديقة، وما تشهده من تطور ونماء على جميع المستويات، واستعراض سبل تطوير التعاون الثنائي في المجالات ذات الاهتمام المشترك بما يخدم المصالح المتبادلة.

كما تم تبادل وجهات النظر بشأن مستجدات الأوضاع الإقليمية والدولية الراهنة، وتأكيد أهمية استمرار التشاور والتنسيق المشترك لدعم الجهود الهادفة إلى تعزيز الأمن والاستقرار، وإحلال السلام الدائم في المنطقة، بالإضافة إلى مناقشة القضايا والموضوعات محل الاهتمام المشترك.

وحضر اللقاء، سفير مملكة البحرين لدى جمهورية ألمانيا الاتحادية أحمد القرينيس، ورئيس قطاع التنسيق والمتابعة السفير سعيد عبدالخالق، والوفد المرافق للوزير.

بحث أوجه العلاقات التاريخية بين البحرين وسوريا

المنامة - وزارة الخارجية

التقى وزير الخارجية د. عبداللطيف الزياني، في ميونيخ، وزير الخارجية والمغتربين في الجمهورية العربية السورية الشقيقة أسعد الشيباني، وذلك على هامش مؤتمر ميونيخ للأمن.

وتم في الاجتماع بحث أوجه العلاقات الأخوية التاريخية الوثيقة التي تربط بين البلدين والشعبين الشقيقين، ومناقشة الجهود التي تبذلها الحكومة السورية من أجل تعزيز الأمن والاستقرار في البلاد، ودفع جهود التنمية والإعمار وعودة النازحين، وتبادل وجهات النظر بشأن الأوضاع الإقليمية الراهنة وتداعياتها على الأمن والاستقرار الإقليمي.

بحث أوجه العلاقات الأخوية مع اليمن

المنامة - وزارة الخارجية

استقبل رئيس مجلس القيادة الرئاسي في الجمهورية اليمنية الشقيقة د. رشاد العليمي، في مدينة ميونيخ أمس، وزير الخارجية د. عبداللطيف الزياني، على هامش مؤتمر ميونيخ للأمن.

وتم في اللقاء، بحث أوجه العلاقات الأخوية الوطيدة التي تجمع بين البلدين الشقيقين وسبل تعزيز التعاون الثنائي في مختلف المجالات؛ لما من شأنه خدمة مصالح البلدين والشعبين الشقيقين. كما تم في اللقاء مناقشة تطورات الأوضاع في اليمن، والجهود التي تقوم بها الحكومة اليمنية من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار ودفع جهود التنمية، (اقرأ الموضوع كاملا بالموقع الإلكتروني)